... وللمجلس الإسلامي الاوروبي كلمة ... !

الشرق الأوسط
الصفحة ٣ ـ Page 3 الجمعة ١٩٨٢/٥/٧

بقلم سالم عزام
الامين العام

بسم الله الرحمن الرحيم

نشكر صحيفة «الشرق الاوسط» لاعطائنا حق الرد احتراما منها لحرية الكلمة وعملا بالتقاليد الصحفية الأصيلة .

في مقال بعنوان افعلوا ما شئتم الا أن تفتروا على الاسلام .. الجمعة ٨٢/٤/٣٠ أصدر السيد احمد محمد جمال حكما على من تحدث عنهم وفي مقدمتهم المجلس الاسلامي الاوروبي ـ وأمينه العام ـ بأنهم مفترون على دين الله .. يلصقون افتراءاتهم بالاسلام .. ثم جردهم من حق الانتساب الى الاسلام .

ووقفنا مع الكاتب الفاضل حول نقطتين :

الأولى منهما تتصل باتهام مباشر وجهه للمجلس الاسلامي الأوروبي .

والثانية تتصل بقضية عامة تمس حياة المسلمين جميعاً في أصل من أصول هذه الحياة ونخلص من الأولى بسرعة لنقف مع القضية الأهم والأعم !

يتساءل الكاتب مستنكرا .. وأين المجلس الاسلامي الأوروبي وامينه العام .. مما يجري من مذابح وانتهاك للاعراض .. وسفك للدماء . الخ .

ونقول له :

لو أنك كلفت نفسك الاطلاع على أعمال المجلس ـ قبل أن تتهمه ـ وتابعت مواقفه في الاستنكار والتنديد العلني الصريح والقوي لهذه الأنظمة لما سمحت لنفسك بهذا الاتهام غير العادل والان مع القضية الأساسية :

وهي قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمع المسلمين ـ تلك أصل تفرع عليه .. ما ذكره الكاتب حول البيان الذي أصدره المجلس الاسلامي حول اعدام «الاسلامبولي ورفاقه» .

نبدأ بالاصل ..

تقول سيادتك :

«ان الاسلام في حقيقة دعوته وواقع رسالته وصريح مبادئه ـ يرسم منهجا واضحا للعلماء في مواجهة المنحرفين عن الصراط القويم» .

وهذا المنهج :**لا يتجاوز النصيحة المخلصة الجريئة يلقيها العالم الى الحاكم دون خوف ولا وجل ولا رهبة من الموت . لو ان الامر انتهى به الى ذلك .. هكذا بالنص ـ**

ثم قلت : ولم يأمر الاسلام في كتابه ولا في سنة رسوله ـ العلماء وهم أئمة المجتمع .. الخ هذا هو منهج الاسلام .. في نظرك !

ونقول لك : ليس هذا منهج الاسلام ـ وأنت هنا تصدر رأيا أو فتوى .. شخصية .. تلصقها بالاسلام .. والاسلام منها براء .. واسمح لنا باستخدام عبارتك هذه المرة .

محصلة فتواك :

ان مواجهة الحكام المنحرفين ـ أمرا بمعروف ونهيا عن منكر لا تتجاوز ـ النصيحة المخلصة الخ ما ذكرت .. ومعناه أن العلماء ـ وهم ضمير الامة وقادتها حسب وصفك يجب أن يقدموا أعناقهم طواعية للحكام المنحرفين يقطعونها وهم .. مستسلمون راضون وكافأتهم على ذلك الاستسلام بأنهم شهداء عند ربهم !

أهذا هو المنهج الذي لا يجوز تجاوزه وليس في الكتاب ولا في السنة شيء وراءه ؟

لا يا أخانا ! ليس هذا هو المنهج .. وفي الكتاب والسنة ـ وهما مرجعنا عند التنازع ما ينقض قولك جملة وتفصيلا واليك البيان :

يؤسس القرآن الكريم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا فرديا وجماعيا على المسلمين ـ بقوله تعالى : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» . «يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك» .

«الاية الأولى أمر جماعي .. والثانية امر فردي ..

ترى : أيقتصر منهج الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على النصيحة المخلصة للحكام المنحرفين لا يتجاوزها ـ ولو أدى الأمر الى تسليم الاعناق لهم ليضربوها اذا لم يستجيبوا ؟ لا نجيب من عندنا ..

بل من سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان ؟

أين موقع النصيحة في الحديث ؟ بعد التغيير باليد وعند العجز عنه .. ! أتنكر هذا ؟ «التغيير باليد» اولا .. لأن المنكر مفسدة .. يجب ايقافها ولا يكتفى فيها بالكلمة والنصيحة للمنحرفين أو غيرهم والا فسدت الأرض بما فيها ومن فيها كما هو واقع اليوم .

واليد في الحديث رمز القوة ـ وقد استخدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التعبير «بالجهاد باليد» . في حديث اخر .

رواه مسلم في كتاب الايمان :

«الجهاد باليد» اولا .. و «الجهاد باللسان» مرتبة ثانية اذا لم يكن الجهاد باليد ممكنا ـ ثم الجهاد بالقلب ـ انكارا ودعاء على الظالمين مرتبة ثالثة هي دنيا المراتب . وبها تغلق دائرة الايمان ويقصى خارجها من سكتوا عن المنكر ولم يدخلوا تحت واحد من هذه المواقف .

كيف جرؤت اذا ـ أن تقول .. ان الاسلام يرسم منهجا واضحا في مواجهة المنحرفين .. وهذا المنهج لا يتجاوز النصيحة المخلصة .. ثم تدعو **العلماء والمسلمين الى تعطيل «التغيير باليد» و «الجهاد باليد»** .. وهما اول معلم في منهج الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما بينه ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي زعمت أن ليس في سنته ولا في كتاب الله الذي تبينه .. شيء وراء حدود فتواك ؟

أفتلك امانة العلم ؟ أذاك منطق العلماء .. الذين يعطون أنفسهم حق الحكم على ضمائر الناس الى حد حرمانهم من الانتساب الى الاسلام ؟

غفر الله لنا ولك !

ولا نظنك تجهل ماروي عن ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ قال: يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الاية وتضعونها في غير مواضعها : «يا أيها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم» وانا سمعنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : «ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقاب» .

الأخذ على يد الظالم واجب المسلمين .. أفرادا وجماعة ـ اذا تركوه .. عمهم الله بعقاب . فهل بالنصيحة المخلصة وحدها للحكام المنحرفين يتحقق هذا وقد اعطيتهم الحق في قطع رقاب من ينصحهم ودعوته الى الاستسلام لهم ؟

لن يؤخذ على يد الظالم بهذا .. وانما بما وضحه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وبينه .

«والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا ـ أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم» لتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا .. و لتقصرنه على الحق قصرا ..

ذلك من منهج الاسلام في تغيير المنكر فهل يتحقق بمجرد النصيحة المخلصة لا يتجاوزها ؟ ثم تقول .. انه هو منهج الاسلام في حقيقة دعوته .. وواقع رسالته وصريح مبادئه ؟ هل في هذا الذي ذكرته كلمة واحدة أصابت الحق ؟!

لعل هذا كاف في تصحيح المنهج .. اضطررنا اليه حتى لا يلتبس على المسلمين حقيقة اسلامهم وعظمته في مواجهة الظلم والبغي والانحراف .

تستنكر سيادتك البيان الذي أصدره المجلس حول اعدام الاسلامبولي ورفاقه ـ وتصفه بأنه منكر ـ وأن كل ما تضمنه ليس فيه من عقيدة الاسلام ولا من شريعته .. الخ .

ونحن نسائلك :

أي منكر في البيان .. ليس من عقيدة الاسلام ولا .. الخ ...

جوهر البيان .. ان هؤلاء الشباب قاموا بمحاولة لتغيير المنكر استخدموا فيها وسيلة التغيير باليد ـ لمنكر عم ضرره الامة الاسلامية كلها وأصر مرتكبه عليه .. ورفض النصيحة . وصادر الكلمة .. واعتقل المخالفين بالرأي ـ وعذب الشيوخ وأغلق الباب على أية محاولة للحوار معه واعتبر .. مجرد التعرض لمنكره ولو بابداء الرأي جريمة .. وسخر كل أدوات الدولة لقهر الشعب وحمله على الخضوع والاذعان له كيف يواجه هذا الموقف ؟

رأى هؤلاء الشباب أن في استطاعتهم تغيير المنكر بأيديهم .. فقاموا بمحاولتهم .. مغامرين بأرواحهم ـ فاحتمال فشلهم وقتلهم بيد أجناده كان عشرة أمثال احتمال نجاحهم في قتله ـ أن الوصف الاول لمحاولتهم : انهم باعوا أنفسهم في سبيل أداء واجب رأوا بامكانهم الوفاء به بينما عجزت الامة كلها عن ادائه لعدم توافر أسبابه .. بم تصف هؤلاء يا شيخ جمال ؟!

قتلة !! لم مجاهدون .. هبوا لتغيير المنكر بالقوة التي أتيحت لهم .

ألا ينطبق على هؤلاء الشباب المسلم «ورجل قام في وجه امام جائر فأمره ونهاه فقتله ـ ان الشهادة نهاية لجهاد .. لا تكون بدونه ـ واذن فقيام هؤلاء الشباب في وجه حاكم جائر رفض الامر والنهي .. محاولين التغيير عليه بقوة محدودة غامروا بأرواحهم معها .. هو جهاد .. لو ماتوا خلاله .. ماتوا شهداء بل في مقدمة الشهداء !!

أيغير من هذه الحقيقة أن شاء الله لهم أن ينجحوا .. الا يكون المجاهد مجاهدا الا اذا قتل ! أم أنك لا ترى في موقف السادات نكرا ولا منكرا ؟ ذلك شيء اخر .. لا نظنك تدعيه ..

ان وراء هؤلاء الشباب أسانيد بينة واضحة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم نسوق لك منها !

لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ـ المجادلة .

والسؤال الأول : هل تدخل كامب ديفيد في اطار مواده من عقدت معهم أم لا ؟ بالقطع داخلة !

والسؤال الثاني : هل اليهود حادوا الله ورسوله ؟ .. واعداء للاسلام والمسلمين ؟ .. والجواب من القرآن الكريم : «لتجدن أشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا» المائدة. .. والسؤال الثالث : ما هو صريح حكم الاية فيمن يواد اليهود بعد ذلك ؟ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر .. يفعلون هذا !! وقد فعله السادات فماذا يكون الحكم عليه ؟

«يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم» .

أنظر خلفه

الم يتولهم السادات ؟ أليس بيجن أخاه وصديقه ؟!! أليس كسنجر صديقه وحميمه ؟ الخ .. أظنك سمعت هذا بصوته ـ تولاهم اذا ؟ قولا وعملا ـ فماذا يكون الحكم عليه ؟ فانه منهم .

هكذا .. حكم الله لا حكمي ولا حكمك ! وكل من يفعل فعله فهو مثله !! «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» ـ البقرة .

أتظن أن اليهود لم يرضوا عن السادات رضا حقيقياً ؟ وأنهم لا يعتبرون قتله خسارة لهم ؟ ما معنى رضاهم عنه في منطق الاية ؟ أنه تبع ملتهم ـ ليس بالضرورة أن يدخل في دينهم ـ وانما بأن بشايعهم في أهوائهم ومآربهم على حساب دينه وعقيدته وأمته ؟

أما عن البيعة ؟ فأية بيعة له في أعناق الناس : بيعة البداية ام بيعة النهاية ؟

اما البداية فهي نتاج ثورة يوليو ـ وهي بمنطقك انت ـ خروج على حاكم مسلم بغير المنهج الذي قلت انه لا يجوز الخروج عليه ـ لقد استخدمت القوة في انتزاعه عن عرشه وطرده من مصر ولو قاوم لقتل هو ومن معه ..

والسادات شريك في هذا .. فأين بيعته ؟ أم هي بيعة الاستفتاءات المزورة الكاذبة ؟ وهبه صاحب بيعة .. فهل تفرض طاعته على الناس اذا خان الله ورسوله وجماعة المسلمين ؟ الم يقل أبو بكر رضي الله عنه «أطيعوني ما اطعت الله ورسوله فان عصيت فلا طاعة لي عليكم » ؟

ألا تظن أن كامب ديفيد معصية ـ ؟ ألا تظن ما حدث في سبتمبر من استباحة الحرمات والحقوق والحريات معصية ان كنت لا تعلم فاعلم أن مجلس الدولة المصري حكم ببطلان كل ما قام به السادات في سبتمبر واعتبره اجراء غير شرعي ؟ !

من الذي ينزع البيعة هنا ؟ ..مجلس الشعب ؟ انه هو الذي مرر له كامب ديفيد ؟ فهو شريك . العلماء ؟ ألم تسمع ما قاله : «مرمي زي الكلب في السجن» ..

أفكان أمام هؤلاء الشباب المسلم طريق سوى الطريق الذي سلكوه . نقطة البدء فيه فرضتها تعاليم دينهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ونهايته فرضها نهج السادات واستبداده ومصادرته كل كلمة واغلاقه كل طريق للنصيحة ورفضه كل منطق للحوار ـ ثم تجريمه وعقابه كل من يختلف معه في الرأي أو الموقف !

ذلك تصورنا للقضية وعلى أساسه صدر البيان . ثم لا تنس ما كان في محاكمة هؤلاء الشباب من مصادرة لحق الدفاع عنهم .

ونختم بما بدأت أنت به : حديث سيد الشهداء ..

منطوق الحديث ومفهومه :

دعوة الى جهاد حكام الجور ـ امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر بالاساليب التي وضحها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبيناها فيما سبق .. فان انتهى الموقف بان قتلهم هؤلاء الحكام لعجزهم عن الدفاع عن انفسهم فهم شهداء بل سادة الشهداء ..

أين من هذا ما ذكرت من قصر المنهاج على النصيحة المخلصة وحدها .. مغفلا «التغيير باليد» وهي المرتبة الاولى للجهاد ووسيلته ؟

ثم من أين أخذت أن الاسلام يحثهم على الاستسلام والتضحية بأرواحهم طواعية وتسليم رقابهم لحكام منحرفين يقطعونها وهم ساكتون أذلة ! .

وأين «من قتل دون نفسه فهو شهيد» .. وأين : «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » .

فان اعتبرت جهاد الحاكم الظالم جهادا .. وهو كذلك انطبقت الاية عليهم .. يقاتلون في سبيل الله .. فيقتلون ويقتلون «فيقتلون أولا .. هذا حق خول لهم لدفع القتل عن أنفسهم وقد يقتلون .. فيستشهدون» . ذلك منطوق الحديث ومفهومه وليس ما ذكرت .. أخيرا نتساءل :

اذا أمر الحاكم بمعصية ؟ فماذا يكون موقف المسلم . بالطبع : لا سمع ولا طاعة ـ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؟ فاذا أمر الحاكم بالمعصية أمرا .. وفرضها بالقوة ـ ؟ ماذا يكون الموقف ؟ بأن نستسلم ؟! وليس مع الاستسلام ايمان ؟ لا ! بل كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك حبة خردل من ايمان .

ألا يتضمن تطبيع العلاقات مع أسرائيل ـ الزام المسلمين بمواقف وسلوكيات ـ هي معاص ومخالفات لاوامر الله وحكمه ؟ وفي مقدمتها تعطيل فريضة الجهاد .

ثم أليس في كامب ديفيد خروج على الجماعة وشق للعصا .. حيث خرج بها السادات على الاجماع المعلن في مؤتمرات القمة : في الخرطوم وفي الرباط وعلى قرارات الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي والان : من الذي ينطبق عليه الحديث الذي رويته من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أويفرق جماعتكم فاقتلوه ؟ .. وما حكم الله فيمن خرج على اجماع الامة ووالي اعداءها ؟ تطبيقا للحديث اننا نلتزم بمنهاج الله كما علمنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله على قلوب بعضكم ببعض ثم ليلعننكم كما لعنهم » .. وقد منع هؤلاء الشباب عن الامة هذه اللعنة .. ودفعوا أرواحهم ثمنا كريما .. وفداء عزيزا ،، والله ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير .